

قصة رجلين من عكا:

زرت أبو موسى وزوجته هنا في منزلهما في بيت ساحور مع أصدقائي Kjell و Inger . روى لنا أبو موسى القصة التي كتبها والتي تحكى عن رجلين من عكا ورحلتهم عبر الأراضي بعد النكبة. هذه القصة تتحدث عن العديد من الحروب والمذابح والمآسي التي مر بها الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨. هذه بعض المقتطفات من روايته.

أود أن أعطيكم فكرة عن محتوى كتابي من خلال حكاية رجل فلسطيني من عكا، هذه الحكاية تعكس قصة كل الفلسطينيين خلال الفترة ما بين ١٩٤٨م - ١٩٨٢م. عاش هذا الصبي الصغير وصديق له في نفس الحي ودرسا في نفس المدرسة حتي أكملوا الصف السابع ومن ثم حصلوا على عمل. عمل أبوأحمد في وزارة الأشغال العامة بينما ألتحق أبو حبيب بوزارة الصحة. من خلال عملهما قاما بمساعدة الناس. كانت تربط بينهما صداقة قوية بحكم نشأتهما، كانا يتسامران في مقهى الحي حيث يشربان القهوة ويلعبان الطاولة. في يوم الأحد حيث العطلة الأسبوعية ايام الحكم البريطاني كانا يذهبان الى مزرعتيهما خارج سور المدينة.

في عام ١٩٤٨ وحينما بدأ البريطانيون يغادرون حيفا، تدهور الوضع بحيفا مما أضطر السكان الي المغادرة براً و بحراً هرباً من العنف وكذلك غادر سكان عكا حيث ذهب معظمهم الى لبنان. أختلف الصديقان الى أين يتجها، فأبوأحمد كان لا يرغب في مغادرة المدينة حيث ان زوجته كانت من المدينة، كما إنه كان على يقين بأن ليس له أي أعداء وأصدقائه كثر من العرب واليهود وهكذا لم يجد مبرر للمغادرة. ولكن في نهاية الأمر اضطروا جميعاً للرحيل. في طريقهم توقفوا بقربة حيث ألتقوا برجل يجهز للرحيل من أجل إنقاذ عائلته من المتوقع، فسأل أبوأحمد الرجل إذا كان بإمكانه أن يأخذهم معه، فأخبره الرجل بأنهم ذاهبون الى جنين وليس الي لبنان، عاد الرجل الي منزله وحزم قليل من متاعه وجاء بعائلته، فركبت الزوجتان بجانب السائق وركب البقية في الجزء الخلفي من الشاحنة. وصل الركب الي جنين حيث وجدوها تكتظ بلاجئين آخرين أتوا من حيفا والقرى المجاورة، جميعهم يقطنون تحت أشجار الزيتون، فأتخذوا شجرة مسكناً لهم،

واجهتهم مشكلة عدم وجود مراحيض حيث يصعب على النساء إستخدام العراء . عرف أبوأحمد أن هنالك بعثة للصليب الأحمر فذهب إليهم وحصل على خيمتين، فتحسن الحال بعد ذلك وأستقروا. بعد مدة أتت وكالة الغوث الدولية لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأنروا) وعمل معهم أبوأحمد في وظيفة كاتب، ونال ثقة ذوي القرار في الوكالة فأصبح مرجعاً لكثير من الأمور. بعد عام صارت الخيام بالية فقررت الأنروا بناء مساكن وساعد أبوأحمد بخبرته في تنظيم هذا العمل وتم بناء مساكن في مدينة أريحا والمناطق التي حولها. حصل أبوأحمد على مسكن له ولعائلته قرب أريحا حيث توجد مدارس لأولاده ، نجح ابنه الأكبر في التوجيهية وأستقر بهم الحال هناك حتى أن الأولاد بدأوا ينسون عكا.

في عام ١٩٦٧ إحتلت إسرائيل بقية فلسطين (حرب الأيام الستة) بما في ذلك أريحا والمناطق المحيطة بها مما أضطر السكان الى الفرار مجدداً، وفي هذه المرة ذهبوا الي عمان حيث ألتحق أبوأحمد أيضاً بوكالة الأنروا وبسبب خبرته السابقة نال ثقتهم وصار مسئولاً عن مخيم اللاجئين هناك وحصل على منزل.

في عام ١٩٦٨ هاجم الإسرائيليون قرية الكرامة شرق نهر الأردن ، تصدى لهم الفلسطينيون بعنف وعندما رأى الأردنيون بسالة الفلسطينيين فى التصدي للدبابات الإسرائيلية إنضموا الى المعركة وقاتلوا بجانب الفلسطينيين فخسرت إسرائيل المعركة وفقدوا كثير من الجنود والأسرى. وبذلك سقطت أسطورة إن أسرائيل لا يمكن أن تخسر معركة. فقد أبوأحمد ابنه أحمد فى تلك المعركة . أختار أبوأحمد زوجه لإبنه الأصغر الذي أنجب ولداً سماه أحمد تيمنا بأخيه أحمد.

وتوالت الأحداث وجاء أيلول الأسود ١٩٧٠ حيث قاتل الملك حسين الفلسطينيين فسقط أكثر من ٢٠٠٠٠ فلسطينى، أضطر أبو أحمد وعائلته إلى الفرار من الأردن ولم يكن أمامهم سوى الذهاب شمالا الي سوريا، حيث ذهبوا الى مخيم اليرموك فى دمشق، وصلوا فى وقت متأخر من الليل ووعدوا بمقابلة المسؤول صباح اليوم التالى. فى الصباح ذهب أبو أحمد لشراء حاجيات الفطور لعائلته من حي الشهداء وكانت المفاجأة حيث شاهد صديق عمره أبوحبيب، رحب به صديقه أشد ترحاب وحكى كل منهما الأحداث التي مرت به، عرف أبوحبيب من أبوأحمد أنهم بمخيم اليرموك فأقترح أبوحبيب على أبوأحمد أن يأتى معه ألى مخيم تل الزعتر بالقرب من بيروت لأن فرص العمل أوسع وكذلك معظم سكان

هذا المخيم من أهالي عكا. وافق أبو أحمد وأخذ عائلته وذهب معه. وقعت حرب أهليه من نتائجها مجزرة تل الزعتر ١٩٧٦. حينها فقد أبوأحمد ابنه الثانى وعائلته ، بقى هو وزوجته فقط. فقدت الزوجه عقلها من هول الفاجعه وصارت تقضي ليلها ونهارها فى العويل والبكاء وليس لأبوأحمد ما يفعله سوى أن يكون بجانبها. عندما هدأت الأمور قليلا ذهب أبوأحمد وزوجته جنوباً وفى الطريق مرّاً بمنزل رجل مسن من طائفة الدرّوز، قدم لهم الرجل بعض الطعام وتركهم ليرتاحا قليلا ثم أرشدهما الى الطريق المؤدى الى مخيم للاجئين بالقرب من صيدا حيث يمكنهم الحصول على بعض المساعدات، فذهب أبوأحمد وزوجته الى هناك.

فى عام ١٩٨٢ حدثت مجازر صبرا وشاتيلا حيث قتل كثير من الفلسطينيين، أخذ أبوأحمد زوجته وذهب الى هناك حيث خلت منازل كثيره ويمكنهم أن يجدوا مسكناً . فى تلك الأثناء إقتتل الفلسطينيون فيما بينهم، فى تلك الفترة تدهورت صحة زوجته وصارت تخرج الى الشارع وتتحدث كثيرا الى نفسها، أصيبت بطلق نارى وماتت هى أيضا وأصبح أبوأحمد وحيدا.

بعد ذلك قرر أبوأحمد الذهاب الى الدامور حيث صديقه أبوحبيب، رحب به أبوحبيب وأقام له مأدبة عشاء دعا لها كل من يعرفون أبوأحمد من أهالي عكا السابقين. بعد الوجبة جلسوا لتناول فنجان قهوة ومشاهدة التلفزيون، عرض التلفزيون مشهداً لبعض الإسرائيليين يرقصون ويشربون، فما أن رأى أبوأحمد هذا المشهد حتى سقط مغشياً عليه، حاول رفاقه إفاقته بالماء فلما عاد الى وعيه سألهم هل رأيتم مارأيت فردوا عليه بأنه أمر عادى نشاهده كل يوم فأخبرهم بأنهم كانوا يحتفلون ويرقصون فى حديقة منزله فى عكا. فى اليوم التالي ذهبوا به الى عيادة المخيم فأمر الطبيب بنقله الى مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت لأن مرضه خطير ولكن أبوأحمد لا يملك تكلفة العلاج، فجمع أبوحبيب بعض المال من أهالي عكا الموجودين بالدامور ونقله الى المستشفى حيث تبين بأنه مصاب بورم فى المخ ولا يمكن علاجه لخطورة العملية.

حاولت أن أحكي من خلال هذه القصة الحقيقية المعاناة والتجارب التي واجهها الفلسطينيون والتي يمكن أن تكون حدثت مع أسرة من يافا أو من أي مكان في فلسطين. أردت فقط أن أقول ما حدث لهم في النكبة ، في حرب الأيام الستة، في

الكرامة، في أيلول الأسود، وما حدث لهم في مخيم تل الزعتر والدامور وما سيحدث لهم في وقت لاحق. هذه العائلة التي كانت سعيدة، فقدت جميع أفرادها، وفي النهاية أصبح الرجل وحيداً، لا يملك شيئاً بعد أن كان ميسور الحال.